



الإسلام دين الفضائل والمكرمات، ودليل الجمائل والمحسنات، ومن مقاصده العظام إتمام مكارم الأخلاق، وثبتت محاسن العادات والأعراف؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: «إنما يبعث لأتمم مكارم [وفي رواية: صالح] الأخلاق»[1]. ومن أحسن ما دعا إليه هذا الدين الحنيف خلق المواساة؛ وهو خلق طيبٍ وجميلٍ، ويطلق في الأصل على «المداواة والإصلاح والعلاج فكأن المواسي يعالج المواسى ويداويه ويخفف عنه ما هو فيه»[2].

وقد عرّفها ابن مسکویه بقوله: «المواساة: معاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الأموال والأقواء»[3]. وأبان الجرجاني - رحمة الله - أن المواساة «أن ينزل غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه»[4]. بينما وسع ابن القيم - رحمة الله - دائرة المواساة لتشمل الجوانب الحسية والمعنوية، وذلك بذكر أنواعها، فقال - رحمة الله - : «المُوَاسَة لِلْمُؤْمِنِ أَنْوَاعٌ: مواساة بِالْمَالِ ومواساة الجاه، ومواساة بِالْبَدْنِ والخدمة، ومواساة بِالنَّصِيحَةِ والإرشاد، ومواساة بِالدُّعَاءِ وَالإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ، ومواساة بالتوقع لَهُمْ (وعلى قدر) الإيمان تكون هَذِهِ الْمُوَاسَةَ فَكُلُّمَا ضَعُفَ الإِيمَانُ ضَعُفتُ الْمُوَاسَةُ، وَكُلُّمَا قَوَىَ قَوَيَتْ»[5].

وخلق المواساة يدل على أصلاته معدن من تحلّي به، وكرم نفسه، ودماثة خلقه، وسموّ همته، ورجاحة عقله؛ بل هو من أخلاق المؤمنين وجميل صفات المحسنين.

بالمواساة تبني المعارف، وتتوطد العلاقات، وتعمق الأخوة، وتزداد المحبة وتستمر المودة والألفة، ويحفظ الجميل، ويعظم الوفاء. وبالمواساة يندحر وحر الصدر، ويحسّن الظن، ويقبل العذر، وتقال العثرات، وتلتئم الأذار.

المواساة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان يشجع أصحابه ويحفزهم عليها، ويثنى على من تخلق بها؛ كثنائه على الأشعريين - رضي الله عنهم - فعن أبي موسى، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْأَشْعَرِيَّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْهُمْ فِي تَوْبِ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسُّوَيْدَةِ؛ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»[6]. وعندما كان صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الأخلاق الفاضلة كانت المواساة أول ما يمثل منها؛ بل إن لها السبق عن غيرها، والقدح المعلى في تمثيلها والالتزام بها، ولذا كان هذا الخلق الكريم يدين حياته صلى الله عليه وسلم، فقد

كان أعظم الناس موساةً للناس ولأصحابه على الخصوص؛ سواء كان ذلك قبل بعثته أو بعدها، فقد وصفت خديجة رضي الله عنها - حاله قبل البعثة بقولها: «كَلَّا وَاللهِ، مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبْدًا، إِنَّكَ لَتَصْلِي الرَّحْمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»[7]. وكذا بعد بعثته صلى الله عليه وسلم، فقد تنوّعت موساته لأصحابه رضي الله عنه:

### 1- هناك من واساه في فتنته وابتلائه:

ومن ذلك: مروره صلى الله عليه وسلم بآل ياسر وهم يُعذّبون، و قوله لهم: «صَبِرًا آلَ يَاسِرٍ؛ إِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةَ»[8].

### 2- وهناك من واساه في مرضه وعلته الصحيحة بتفقده وزيارته:

فعن زيد بن أرقم، قال: أصابني رمد فعادني النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فلما برأت خرجت، قال: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ عَيْنَاكَ لِمَا بِهِمَا مَا كُنْتَ صَانِعًا؟» قال: قلت: لَوْ كَانَتْ عَيْنَايَ لِمَا بِهِمَا صَبَرْتُ وَاحْتَسَبْتُ. قال: «لَوْ كَانَتْ عَيْنَاكَ لِمَا بِهِمَا، ثُمَّ صَبَرْتُ وَاحْتَسَبْتَ، لَلَّهُ أَعْلَمُ وَلَا ذَنْبَ لَكَ»[9].

وعن ابن المunkir، سمع جابر بن عبد الله - رضي الله عنهم - يقول: مرضت مرضا، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني، وأبو بكر، وهم ما شيان، فوجداني أغمي على، فتوضاً النبي صلى الله عليه وسلم، ثم صب وضوء على، فآفقت فإذا النبي[10].

### 3- وهناك من واساه في أزمته المالية:

كما في قصة سلمان - رضي الله عنه - عندما «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَثِيلِ بَيْخَنَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَارِي، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟». قَالَ: فَدُعِيْتُ لَهُ، فَقَالَ: «خُذْ هَذِهِ فَادْبِعْهَا مَا عَلِيْكَ يَا سَلَمَانَ». فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقْعُدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «خُذْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤْدِي بِهَا عَنْكَ». قَالَ: فَأَخْذَتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا - وَالَّذِي نَفْسُ سَلَمَانَ بِيَدِهِ - أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَتَقْتُ فَشَهَدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفْتَنِي مَعْهُ مَسْهَدُ»[11].

### 4- منهم من واساه في حزنه ومصيبة:

كما في حديث معاوية بن قرة عن أبيه قال: «كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ إِذَا جَاءَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يُأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَاهِرِهِ، فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَلَّكَ، فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ، فَحَرَّنَ عَلَيْهِ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (مَالِي لَا أَرَى فُلَانًا)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بُنْيَهُ الَّذِي رَأَيْتُهُ هَلَّكَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ بُنْيَهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَّكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: (يَا فُلَانُ، أَيْمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمْرَكَ، أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ؟) قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَلْ يَسِّرْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: (فَذَاكَ لَكَ)»[12].

### 5- وهناك من واساه في مشكلته الاجتماعية والأسرية:

كسعيه صلى الله عليه وسلم في أمر جليبيب - رضي الله عنه - حتى زوجه. فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار: «(زَوْجِنِي ابْنَتَكَ) فَقَالَ: نِعَمْ، وَتُعْمَمْ عَيْنِي. فَقَالَ لَهُ: (إِنِّي لَسْتُ لِنَفْسِي أُرِيدُهَا). قَالَ: فَلِمَنْ؟ قَالَ: (الْجُلَيْبِيْبِ)»[13].

وكما في قصة عبد الله بن أبي حدرد - رضي الله عنه - فقد حدث عن نفسه أنه تزوج امرأة «فَاتَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُ فِي صَدَاقِهَا، فَقَالَ: (كَمْ أَصْدَقْتَ؟). قَالَ: قُلْتُ: مِائَتَيْ دِرْهَمٍ. قَالَ: (لَوْ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ الدَّرَاهِمَ مِنْ وَادِيكُمْ هَذَا

ما زَدْتُمْ مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيْكُمْ). قَالَ: فَمَكَثْتُ، ثُمَّ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ، فَبَعَثَنِي فِي سَرِّيَّةٍ بَعْتَهَا نَحْوَ نَجْدٍ، فَقَالَ: (اخْرُجْ فِي هَذِهِ السَّرِّيَّةِ لَعَلَّكَ أَنْ تُصْبِبَ شَيْئًا فَأَنْفَلَكُهُ)[14].

وكذا في حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: « جاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: كَانَ يَبْنِي وَيَبْنِهَا شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِنْسَانٍ: (انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟). فَجَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجَعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شَيْقِهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: (قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ)[15]. »

وكذا في حديث ابن عباس - رضي الله عنهم - « أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَانَ يَأْنُثُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي، وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ لِعَبَّاسٍ: (يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةً، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةِ مُغِيثًا؟). فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ رَاجَعْتَهُ؟). قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: (إِنَّمَا أَنَا أَشْفُعُ). قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ»[16].

## 6- منهم من واساه في همومه وانكساره ومسؤولياته الحياتية:

كما في حال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهم - قال: « لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنُ حَرَامَ يَوْمَ أَحُدٍ، لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: (يَا جَابِرُ، أَلَا أَخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ لِأَبِيكَ؟). وَقَالَ: يَحْيَى فِي حَدِيثِهِ، فَقَالَ: (يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدِيَنَا. قَالَ: (أَفَلَا أُبَشِّرُكَ، بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبِيكَ؟)، قَالَ: بَلِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (مَا كَلَمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَمَ أَبِيكَ كَفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبَّ تُحِينِي، فَأُقْتَلُ فِيَكَ ثَانِيَةً. فَقَالَ الرَّبُّ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِي أَنْهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ. قَالَ: يَا رَبِّي، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَأَيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: 169]»[17].

## 7- منهم من واساه بجبر خاطره وتطيبه ومراعاة مشاعره وتقديره:

ومن ذلك حديث الصعب بن جثامة - رضي الله عنه - : « أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ - أَوْ بِوَدَانَ -، فَرَدَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ، قَالَ: (أَمَا إِنَّا لَمْ نَرُدْهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ)»[18].

## 8- بل كان يواسى أهل وأبناء أصحابه بعد موتهم:

وذلك بتقادمهم وإصلاح أحوالهم؛ كما حصل مع أبناء جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه -؛ حيث أتاهم بعدما استشهد جعفر - رضي الله عنه -، « وقال: (لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ادْعُوا إِلَيَّ أَخِي). قَالَ: فَجَيَءَ بِنَا كَانَ أَفْرُخٌ، فَقَالَ: (ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلَاقَ، فَجَيَءَ بِالْحَلَاقِ فَحَلَقَ رُؤُسَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبَّهَ عَمَّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبَّهَهُ خَلْقِي وَخَلْقِي) ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفَقَةِ يَمِينِهِ). قَالَهَا تَلَاثَ مِرَاءٍ. قَالَ: فَجَاءَتِ أَمْنَانَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: (الْعِيلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟!)»[19].

## 9- من عجيب مواتاته لأصحابه مواتاته لهم بعد مماتهم:

وذلك بالدعاء والاستغفار لهم؛ كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : « أَنَّ امْرَأَةَ سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقْمُ الْمَسْجِدَ - أَوْ شَابِيَا - فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ - فَسَأَلَ عَنْهَا - أَوْ عَنْهُ - فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: (أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟). قَالَ: فَكَانُوهُمْ صَغَرُوا أَمْرَهَا - أَوْ أَمْرُهُ - فَقَالَ: (دُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ). دَلَلَهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةُ ظُلْمَةٍ عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ يُنَورُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ)»[20].

ومن الاستقراء الماضي يتضح لنا أنه صلى الله عليه وسلم كان عظيم المواساة لأصحابه - رضي الله عنهم - في شتى الأحوال والظروف: فقد كان يواسيهم في فتنتهم وابتلاءاتهم، ويواسيهم في أمراضهم وعللهم الصحية، ويواسيهم في أزماتهم المالية ويواسيهم في أحزانهم ومصائبهم، ويواسيهم في مشكلاتهم الاجتماعية والأسرية ويواسيهم في همومهم ومسؤولياتهم الحياتية. وكذا يواسيهم بجبر خواطرهم ومراعاة مشاعرهم؛ بل ويواسيهم في أهليهم وأبنائهم من بعدهم.

وأعظم من ذلك: أنه كان يواسيهم بعد مماتهم بالاستغفار والدعاء لهم. ومن جميل مواتاته، وكريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم: أنه كان وفيًا مع من واساه يوماً من الدهر في نصرة هذا الدين؛ يحفظ جميله، ويذكر صنيعه، ويثنى عليه بذكره وذكر مواتاته له ولو بعد حين؛ فيعلنها ولا يضمّرها، ويبديها ولا يخفّيها؛ وفاء لعهدهم وحفظاً لجميلهم؛ ذكره لزوجه خديجة - رضي الله عنها وأرضها -، فعن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: «ما غرت على أحدٍ من نساء النبي ما غرت على خديجة. وما رأيتها، ولكن كان النبي يكثُر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كانه لم يكن في الدنيا امرأ إلا خديجة. فيقول: إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد» [21].

وكان صلى الله عليه وسلم لا يذكرها إلا ويثني عليها، ويستغفر لها، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله إذا ذكر خديجة لم يكن يسام من ثناء عليها والإستغفار لها» [22].

وعنها أيضًا - رضي الله عنها وعن أبيها -، قالت: «كان النبي إذا ذكر خديجة أثني عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق! قد أبدلك الله بها خيراً منها. قال: (ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس واستتبني بمالها إذ حرمتني ولدتها إذ حرمتني أولاد النساء)» [23].

وكذلكه لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه -، قال: «كنت جالساً عند النبي إذ أقبل أبو بكر أخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي: (أماما صاحبكم فقد غام). فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فاسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فلما علّي، فاقبّلت إلينه. فقال: (يغفر الله لك يا أبي بكير ثارنا). ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: ألم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي فسلم، فجعل وجه النبي يتعمّر، حتى أشفق أبو بكر، فجئًا على ركبته، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم - مررتين -. فقال النبي: (إن الله يغتنم إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسي ومالي، فهل أنت تاريكي صاحبي؟!) مررتين. فما أودي بعدها» [24].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، قال: «خطب النبي، فقال: (إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عندك فاختار ما عند الله)، فبكى أبو بكر الصديق، فقلت في نفسي: ما يُنكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عندك فاختار ما عند الله؟ فكان رسول الله هو العبد، وكان أبو بكر أعلمها. قال: (يا أبي بكر لا تبك، إن أمن الناس على في صحبته ومالي أبو بكر، ولو كنت متخدنا خليلًا من أمنتي لاتخذت أبي بكر، ولكن أخوة الإسلام وموذته، لا يُبقيَن في المسجد باب إلا سُد، إلا باب أبي بكر)» [25].

ومثل ذلك ذكره صلى الله عليه وسلم للأنصار - رضوان الله عنهم -، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، قال: «لما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم الفالة حتى قال قائلهم: لقي رسول الله قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي قد وجدا علىك في أنفسهم؛ لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظيمة في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء. قال: (فأين أنت من ذلك يا سعد؟). قال: يا رسول الله، ما أنا إلا أمرؤ من قومي، وما أنا؟ قال: (فاجتمع لي قومك في هذه الحظيرة). قال: فخرج سعد، فجتمع الأنصار في تلك

الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكُوهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: (بِإِيمَانِكُمْ وَجَدَتُمُوهَا فِي أَنفُسِكُمْ، إِنَّمَا أَنْتُمْ ضُلَّالٌ لِفَهَادِكُمُ اللَّهُ؛ وَعَالَةٌ فَاغْنَاكُمُ اللَّهُ؛ وَأَعْدَاءٌ فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟)، قَالُوا: بِإِنَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمَنْ وَأَفْضَلُ، قَالَ: (أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟) قَالُوا: وَيَمَّا نَجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ؟! قَالَ: (أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَاصَدَقْتُمْ وَصَدِيقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَبَّاً فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَحَسَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيَنَاكَ، وَعَائِلاً فَأَسْيَنَاكَ، أَوْ جَدْتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لِعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُمُ إِلَيْ إِسْلَامِكُمْ؟! أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعْرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ يَبْدِي لَوْلَا الْهِجْرَةَ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شَعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شَعْبًا لَسَلَكْتُ شَعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ)، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَاطًا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَتَفَرَّقُوا» [26].

واقتداء بالرسول المصطفى، واهتداء بالحبيب المجتبى - صلوات الله وسلامه عليه - حيث جعله الله قدوة للمسلمين، وأسوة للمؤمنين في قوله - سبحانه - : **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** [الأحزاب: 21] - حَرَيْ بنا وجميلٌ منا بعد ذلك أن نهدي بهداه ونقتفي أثره وخطاه ونخلق بخُلقه ودلله، ونتأسى بقوله وفعله.

وعليه: فمن أجر أولى الناس مراعاةً وتطبيقاً لهذا الخلق الكريم معهم (المواساة)؛ وفاء لعهدهم، وحفظاً لجميلهم: رجال كرام، ومربيون أفذاذ، ومصلحون أكفاء، لهم سابقة في العمل الدعوي والتربوي، ولهم قدّم صدقٍ في العطاء والبذل لهذا الدين، وقدموا لشباب الأمة الكثير من العطاء، وبذلوا من أجلهم الكثير من المال والجاه والجهد؛ بل ربما أثقلوا كواهلهم بالديون من أجلهم.

كم من ليالٍ شاتيةٍ سهروا فيها إلى ساعات متأخرة من أجل محضن يخططون في إصلاحه، أو مشكلة لشابٍ يسعون في حلها، أو برنامج للشباب يقيّمون نفعه، أو رحلة هادفة يحدّقون أمرها، أو باب فساد على الشباب يغلقونه دونهم، وربما كان ذلك على حساب أنفسهم وأهليهم وأبنائهم وصحتهم وأموالهم.

ثم مرّت الأيام والليالي وتولّت السنون والأعوام وتغيرت الظروف وأصيب هؤلاء الكرام بما يصاب به بنو البشر من الفترة والضعف والعجز والكسيل، والقعود والتلاعس، فإذا عطاهم الجميل قد تجمّد، وبذلهم الوفير قد توقف، وهمتهم العالية قد ضعفت، وعزيمتهم المتوقدة قد انطفأت. وإذا هم قد آثروا حياة الراحة والدعة على حياة الجد والعمل؛ بل ربما تعلقت قلوبهم بلغاً من الدنيا، فتوقفت القافلة عن المسير، وجنّب المسافر عن جادة الطريق. وقد يكون التغيير بسبب كبر السن، ومرض الجسد وتغير العافية، وثقل الحركة وتغير الأدوار الاجتماعية.

إنهم وهم كذلك - وبغض النظر عن الأسباب أو الأحوال - أحوج من ذي قبل إلى معاونة كريمة من مربٍّ قرین، أو صديقٍ عزيز، أو مُتربّبٍ وفيٍ يحفظ العهد ولا ينسى الجميل.

وهذه المعاونة نعني بها: « تلك المشاركة الوجاذبة والمساهمة المادية والمعاونة الجسدية للمربيين والمصلحين الأوائل، التي تهدف لكتابتهم وسد احتياجاتهم، وقضاء لحوائجهم، وإصلاحاً لأحوالهم، ومداواة لجرائمهم، وتثبيتاً لديهم؛ حفظاً لجميلهم ووفاء لعهدهم».«

ويا لآثر لهذه المواتاة!! فكم جددت من إيمان قد خلق! وكم أوقدت من همة وقوت من ضعف! وحرّكت من وقف! وأعادت روح العطاء لبازل، ودفعت فاتر عن فتوره، وأقامت متقاوماً عن قعوده. وكم داوت من مريضٍ وأصلحت من عطبٍ وأبهجت من نفس! وأعادت روح البسمة والتفاؤل ليائس بئس!

إننا اليوم بحاجة ماسة أكثر من ذي قبل إلى بعث هذا الخلق النبيل بيننا واستنهاض النفوس، وشحذ الهم، وتنمية العزائم؛ لكي نستيقن منْ حولنا من شبابنا وشيبنا وأن نستدركَ من تبقى من رأس المال؛ باحتواه، والنظر إليه بعين العطف والشفقة. كما هي الحاجة ماسةً أيضاً إلى أن يتربى شباب الأمة على المواتاة (معرفيًّا وعمليًّا)؛ – أما معرفياً: فإن تساق لهم الأدلة من الوحيدين على عظمة هذا الخلق الكريم وأهميته وأثره؛ كقوله تعالى: **{واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}** [الإسراء: 24]. يقول السعدي – رحمه الله – : «وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الآبوين فإن له على من رباه حق التربية»[27].

[1] السلسة الصحيحة، للألباني: 45.

[2] فقه الأخلاق والمعاملات، مصطفى العدوى: 23.

[3] تهذيب الأخلاق، لابن مسکویه: 1/31.

[4] التعريفات، للجرجاني: 1/236.

[5] الفوائد لابن القيم : 1/171.

[6] أخرجه البخاري: 2486 ومسلم: 2500.

[7] أخرجه البخاري: 3.

[8] الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري: 88.

[9] رواه أحمد: 19348.

[10] أخرجه البخاري: 5651.

[11] أخرجه أحمد: 23737.

[12] أخرجه النساء: 2088.

[13] أخرجه أحمد: 19810.

[14] أخرجه أحمد: 23882.

[15] أخرجه البخاري: 441.

[16] أخرجه البخاري: 5283.

[17] أخرجه ابن ماجه: 190.

[18] أخرجه البخاري: 2573.

[19] أخرجه أحمد: 1750.

[20] أخرجه مسلم: 956.

[21] رواه البخاري: 3818.

[22] رواه الطبراني في المعجم الكبير: 23/13

.24864 [23]

.3661 [24]

.466 [25]

.11730 [26]

.1/456 [27]

مجلة البيان العدد 349

المصادر: